ملامح النَّصيَّة في التُّراث البلاغي العربي .

أ . عبد الكامل سعيداني
(جامعة العربي تبسي - تبسَّة

)

ملخص

تتجلى الإرهاصات الأولى للنصية في التراث البلاغي العربي، في علاقات التماسك والتضام والترابط والتكرار، وحروف المعاني، والإحالات الضميرية، والإشارية والموصولية ويعد الوصل والفصل من أبرز مؤشرات النصية في البلاغة العربية القديمة، ولا يكون كذلك إلا إذا وضعت حروف العطف في موضوعها الصحيح حسب معانيها، ومراعاة الفائدة من وضعها ومقبوليتها .

العطف هو أداة تماسك، وربط سواء على مستوى المفردات، أم على مستوى الجمل، أم على مستوى الفقرات، فالمفرد يعطف على المفرد إذا اشتركا في الإعراب، أما عطف الجمل لا يكون إلاّ بالتناسب، وهو عطف الجملة التي لها محل من الإعراب على مثيلتها، وعطف التي ليس لها محل من الإعراب على أختها، وعليه فالعلاقة بين الجمل تربطها جوامع .

تصنف الجمل إلى ثلاثة أصناف منها: ما هو متقارب، ومتكامل، يوجب وصلها، ومنها ما هو متباين، لا جامع بينها، يوجب فصلها، ومنها ما هو وسط بين الأولى والثانية، والجملة لا تتصل بجملة ملتبسة المعنى والثنائيات المتكونة من سبب مسبب، شرط جواب، قسم جواب، سؤال مقدّر جوابه متماسكة بطبعها.

من هذا المنطلق يستنتج: أنّ البلاغة العربية أسهمت إسهاما مهما في تماسك الخطاب العربي القديم وأهم هذه العناصر البلاغية التي أدت هذا الدور هي: الفصل، والوصل، والمطابقة، والتكرير والاشتراك والتمثيل، وصيغة الخطاب، والتأكيد، والإيضاح، وتقدير السؤل، واختلاف الأفعال الكلامية، والمقام والسياق، والفصل لا يعني التفكك، بل هو الربط، وعدم إتقانه، هو التفكك.

Conclusion

The first harbingers of textuality reveal in the Arabic rhetorical heritage and exactly in the cuddle and cohesion relationships and the correlation and repetition، letters meaning، pronominal references، inductivity and connectivity، along with linking and disconnecting are considered the most supreme indicators in the ancient Arabic rhetoric and it won’t be so unless the right conjunctions are appropriately used taking into consideration context and usage as well as the readers readiness to accept them and benefit from them.

So، the conjunction is a cohesive tool on the vocabulary، sentence and paragraph levels alike where a single word links another one if they partook in the grammar analysis، ie، their partaking in determination as a conjunction obligation.

But the sentence conjunction cannot be without proportion which is also linking the sentence which has grammatically a place on its identical and linking which has no grammatical place on its similar. Thus، the relation between the

sentences connected with different universals and a convergence towards each other. Different tools fit and get along with the appropriate context. Therefore، the sentences are disconnected or separated when there's no assembler to join them together and if there's no factor that relates them to the acceptable factors for the receiver which serves the requested item.

The sentences are classified or divided into three types. Some are convergent، complete and not disconnected. Here the conjunction and the connecting must be used. Others are dissimilar Some others share the features of both. The couple of sentences composed of cause and causative، condition and answer or result، part and answer، a determined question with its answer، coherent، compatible and corresponding by itself، without formal or distinct connections.

From all this، we conclude that the Arabic rhetoric contributed an important and valuable part in the ancient Arabic address (speech) coherence and form. Among these rhetoric elements are: displacement or disconnecting and linking or connecting and also accordance and repetition، participation، comparison or linking، the address form and the confirmation.In addition to the clarification with appreciating question and speech act difference and the context with the situation. The displacement or disconnection does not mean disintegration or dissolution، but it is the connection or linking in fact. And if there is lack of proficiency or misuse، then it is disintegration or separation.

مقدمة

لقد عالج التراث العربي ظاهرة النصية، من خلال الجملة، كونها مكونا من مكونات النص، لأنّ النص مهما طال أو قصر، فهو متتاليات جملية، والجملة هي نص قصير، ولبنة من لبنات نص أطول، والترابط بين أجزاء النص هو أبز الخصائص التي تَسِمه بالنصية، والجملة المنسجمة ذات الأجزاء المترابطة التي تؤدي وظيفة التواصل هي نص، لا يقل أهمية عن النصوص الطويلة.

من الخصائص البارزة للنصية، أنها تميز النص عما ليس نصا، وتحقق وحدته الشاملة، وذلك باعتمادها على وسائل عديدة، منها: الإحالة، القصدية، المقامية، القبول، التناص، التماسك الدلالي والترابط النحوي، وهذه الوسائل والأدوات اللسانية الحديثة، لم تكن غائبة عن النص التراثي العربي ومن يتأمل في علوم القرآن وتفسيره وإعجازه، وفي التراث النقدي العربي والبلاغي يجد بعض الاجتهادات النصية التي تجاوزت الجملة في التحليل، وتناولت النص، وطرقت باب النصية.

إنّ الكم الهائل من المادة المعرفية التي يزخر بها التراث العربي، في جميع المجالات العلمية والثقافية والفنية، وتشعبها، واختلافها، وتباينها، جعل البحث يقتصر على مجال البلاغة العربية كونها أهم المساهمين في التأسيس للنصية العربية.

النصية من خلال البلاغة العربية

اللسانيات هي: الدراسة العلمية للغة، وبفضلها تحررت اللغة من الهيمنة، والاستغلال اللذين سُلطا عليها ردها من الزمن« وعلم اللغة يسعى لوضع نظريات تصلح لمعالجة أي لغة، ولسانيات النص تحررت بوصفها نظرية مستقلة على يد علماء الغرب، مع التأكيد أنّ الإشارة إليها واضحة في التراث اللغوي العربي، وكون هذه النظرية غربية، ونماذجها غربية وأدواتها غربية، إلاّ أنّ الكثير من هذه الأدوات تتفق مع الأدوات المستعملة في اللغة العربية، والتراث العربي، بل تكاد جلها تكون قابلة للتطبيق على اللغة العربية»[1] وهذا أمر طبيعي، لأنّ اللغات لا تتطابق في كلّ شيء فكلّ لغة لها ذاتيتها وخصوصيتها.

تعد البلاغة إحدى ميادين الدراسات اللسانية، ومعيارا من معايير النصية في الخطاب التراثي ومجالا من مجالات البحث اللساني المتعلق بتحليل الخطاب من حيث علاقات التماسك القائمة فيه كالتضام والتكرار والإحالات الضميرية والإشارية والموصولية والوصل والفصل.

يعد الاتساق والانسجام ظاهرة نصية، ولم يردا بالمصطلح الحديث في التراث العربي إلاّ أنّ معناهما موجود في البلاغة العربية، حيث ذُكرا بصيغ التماسك، والنسيج والحياكة، والنظم والبناء والتأليف، وقد أشار عبد القاهر إلى ذلك في قوله:« فالمنظوم بعضه مع بعض، نظير النسيج والتأليف والبناء مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، وليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها النطق، بل أن تناسقت دلالتها وأن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سببا من تلك، وتنظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله».[2]

يشبّه عبد القاهر الاتساق، والانسجام النصي بالنسيج المحبوك المتراصة خيوطه، أو البنيان المحكمة لبناته، ولا يكون ذلك إلا بوضع الكلمات في مواضعها الصحيحة، متوافقة غير متنافرة تؤدي الدلالة المطلوبة، والمعني الصحيح، ولم يكتف بالتماسك الشكلي للنص، بل تعدى التماسك الدلالي، وأهميته، وبعض العلاقات المساهمة في اتساق النص، وانسجامه كعلاقة السبب بالمسبب.

يشير عبد القاهر الجرجاني إلى معنى الاتساق، والانسجام بصورة واضحة إذ يقول:« وأعلم أنّ مما هو أصل أن تتواخى المعاني، وتتحد أجزاء الكلام ويتداخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط الثاني فيها بالأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع بيساره هناك، وفي حال ما يبصر مكانا ثالثا يضعهما بعد الأولين »[3] فالكلام عند عبد القاهر الجرجاني هو النص، والنص لا يكون كذلك، إلاّ إذا كان متسقا منسجما، يؤدي وظيفة التواصل، وأهم وسيلة لتحقق هذه الغاية هي الفصل والوصل.

1- الفصل والوصل

---

[1]- ينظر, صبحي إبراهيم الفقي, علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق, , ط1,دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة 1/ 115.

[2] - دلائل الإعجاز, في علم المعاني.ط1 .1988.دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.ص44

[3] - المرجع نفسه. ص73.

إنّ أدوات الاتساق، ومبادئ الانسجام التي جاء بها علم النص الحديث، لم تكن منعدمة في التراث العربي وخصوصا في البلاغة العربية، وتحديدا، الفصل والوصل، وأقدم إشارة لأهمية هذا المصطلح ما ورد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ(255هـ)، أثناء تعريفه للبلاغة « قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل والوصل»[4] هذا قول جدير بالتأمل؛ لأنّ مفهوم- الفصل والوصل- هو محور اهتمام اللسانيات النصية الحديثة، ويعني التحكم في عملية الربط سواء المباشر بحروف العطف، أم غير المباشر كالبدل والنعت، ويعد الفصل والوصل ظاهرة اتساقية بامتياز، يقول الجرجاني: «اعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة، أنت تقول أنّه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب»[5] والمقصود بذلك، هو الفصل، والوصل، ومدى أهميته في التراث البلاغي العربي، كونه مؤشرا من مؤشرات تماسك النص، والتحامه.

جاء في كتاب الصناعتين:« إنّ البلاغة إذا اعتزلتْها المعرفة بمواضع الفصل والفصل، كانت كاللآليء بلا نظم »[6]، يتبين من هذا القول أنّ الفصل والوصل في البلاغة العربية أداة اتساق وانسجام، لدورهما في تماسك النص، وإضفاء جمالية عليه وإيضاح الفكرة، والتخلص من الالتباس والغموض، إن أُحسن استعمالهما وتوظيفهما، « و إن لكلّ شيء جمال، وحلية الكتاب وجماله إيقاع الفصل والوصل موقعه، وشحذ الفكرة، وإجالتها في لطف التخلّص من المعقود إلى المحلول»[7] يشير هذا القول إلى الفصل، والوصل كظاهرة نصية مهمة في الدراسة النصية، وتحليل الخطاب.

أ- وجوب الوصل

الوصل هو الربط بالواو، أي عطف جملة على أخرى، ويوجب في ثلاثة مواضع هي:

- إ ذا اتفقت الجملتان في الخبرية، والإنشائية، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل، نحو: هل فكرت في الأمر وعرفت الحقيقة ؟ العمل بناء والكسل دمار، اتصلت الجملتان لتوافقهما خبريا، وإنشائيا وفي قوله تعالى:﴿ **الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[8] اتصلت الآيتان لتوافقها خبريا، وصار الربط بواو العطف واجبا لانسجام النص، واتساقه.

-إذا اختلفت الجملتان في الخبرية، والإنشائية، وكان الخبر يوهم خلاف المقصود، كإجابتك عن

سؤال يستفسر عن مريض بالنفي، نحو: هل فلان شفي من مرضه؟ فتجيب:لا، وشفاه الله، أو لا شفاه الله فالجملة الأولى دعاء له بالشفاء، والثانية دعاء عليه بعدم الشفاء، فالوصل بين الجملتين بواو العطف فرضه سياق المعنى، لأنّ الفصل يعطي معنى آخر غير المقصود.

- إذا كان للجملتين نفس الحكم الإعرابي نحو: أتمنى أن أخدم بلدي وأن أحقق ما أريد[9] .

يتبين مما سبق أنّ الجمل إذا توالت، وكان لها نفس الإعراب، أو اتفقت خبريا وإنشائيا وجب ربطها بواو العطف، وإذا اختلفت في ذلك، وكان الخبر ملتبسا، وجب الربط بالواو لرفع الالتباس ومتى توفرت شروط الوصل، وتعاقبت الجمل لابد من وصلها، وأهم واسطة

---

[4]- البيان والتبيين, تحقيق عيد السلام هرون. دار الجيل. بيروت. لينان .1/ ص88

[5]- دلائل الإعجاز, في علم المعاني . ص178.

[6]- أبو هلال العسكري.كتاب الصناعتين, تحقيق مفيد قميحة. ط1 . 1981. دار الكتب العلمية .بيروت.لبنان. ص497

[7]- أبو هلال العسكري. المصدر نفسه.ص 497.

[8]- الانفطار/13-14.

[9]- ينظر السيد أحمد الهاشمي, جوهر البلاغة. ط 6. 1935.مطبعة السعادة.مصر .ص161

لذلك هو واو العطف وقد تأتي هذه الجمل منسجمة متسقة دون واو العطف، وهذا ما يسمى بالفصل.

ب- وجوب الفصل

من المعلوم أنّ الجمل إذا توافقت، يتم ربطها، بأدوات مناسبة، و قد يوجب لها الفصل، وهو الربط المباشر دون حروف العطف، ويقع في خمسة مواضع:

- أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وامتزاج معنوي وهذا يسمى (كمال الاتصال)
- أن يكون بين الجملتين تباين تام، دون إبهام وخلاف المراد، ويسمى ذلك (كمال الانقطاع).
- أن تكون بين الجملتين رابطة قوية، لوقوع الثانية جوابا للأولى، ويسمى (شبه كمال الاتصال).
- أن يكون بين الجملة الأولى، والثانية جملة أخرى متوسطة حائلة بينهما، لو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها، لتُوهّم أنها معطوفة على المتوسطة، فيترك العطف، ويسمى (شبه كمال الانقطاع)
- أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع، وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويسمى (التوسط بين الكمالين)[10]

يتضح من هذه التصنيفات الجملية أن الجملتين **كاملتا الاتصال**، لهما المعنى نفسه، و يصح إنزال إحداهما بدل الأخرى نحو: رَزقَكُمُ اللَّهُ خَيْرًا، منحكم عِلْمًا نَافِعًا، فالجملة الثانية بدل من الأولى، وذلك هو سبب امتناع العطف؛ لأنّ العطف على البدل كأنّ الشيء عطف على نفسه، وهذا لا يجوز.

المقصود **بكمال الانقطاع** هو التباين التام، والواضح بين الجملتين، في الخبر، والإنشاء، لفظا ومعنى، أو معنى فقط نحو: حضر الأستاذ، حفظه الله، ونحو: أسرعْ، إنّي في انتظارك، لاحظ أنّ العبارة الأولى شطرها الأول خبر(حضر الأستاذ)، وشطرها الثاني إنشاء(حفظه الله) دعاء وهذا اختلاف تام بين الجملتين، وهو سبب امتناع العطف، وفي الجملة الثانية حدث العكس، فالجزء الأول أمر(أسرعْ) إنشاء طلبي، والجزء الثاني (إني في انتظارك) خبر مؤكد، وهو سبب الفصل، لأنّ الجمل المختلفة، لا يجوز وصلها بالعطف، والفصل لا يعني التفكك مثلما سبقت الإشارة إليه، بل يعني التماسك والترابط، لأن الجمل في هذه الحالة موصلة دلاليا وعلاقتها مباشرة، لا بواسطة وتوصف الجمل **بكمال الانقطاع** أيضا، إذا لم يكن بينها مناسبة معنوية، كقولك: محمد طالب، المدينة جميلة فانعدام الجامع بين الجملتين، أوجب الفصل.

أما الجمل التي تنعت **بشبه كمال الاتصال**، تعني أنّ الجملة الثانية قوية لارتباطها بالأولى لوقوعها جواب عن سؤال محذوف كقولك: لا أزكي شخصي، لأنّ كلّ بني آدم خطاء، وتقدير السؤال لماذا لا تزكي شخصك؟ والجواب، لا أزكي شخصي، لأنّ كل بني آدم خطاء ، ونحو قول الشاعر:

زَعَمَ العَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا، وَلَكِنْ غَمْرَتِي لاَ تَنْجَلِي

هذا البيت يتضمن سؤالا تقديريا هو أصدق العواذل في زعمهم، أم كذبوا؟ جوابه صدقوا، وبذلك صارت الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى، لأنها جواب عن سؤال نشأ من

---

[10]- ينظر أحمد الهاشمي, جوهر البلاغة. ص162.

الأولى[11] وللرابطة القوية بين السؤال، والجواب يمنع العطف بالواو، لأنّ التماسك قائم دونه .

أما **شبه كمال الانقطاع**، هو أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على الأولى لوجود المناسبة ولكن عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيترك العطف دفعا لتوهم أنه معطوف على الثانية نحو:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلاً أَرَاهَا فِي الضَّلاَلِ تَهِيمُ

جملة (أراها) يصح عطفها على جملة (تظن)، ولكن تمنع هذا العطف جملة الوسط(أنني أبغي) لاعتقاد القارئ أنّ الجملة الثالثة معطوفة على الجملة الثانية، وهذا لا يصح كي لا تكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى[12]، وعليه فالفصل أولى من والوصل، لدرء فساد المعنى، وتوضيح المطلوب دون غموض.

التوسط بين الكمالين مع قيام المانع هو أنّ الجملتين متناسبتان، وبينهما علاقة، لكن يمنع عطفهما عدم تشريكهما في الحكم قول تعالى:﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[13] فظاهرة الفصل في هاتين الآيتين واضحة حيث إنّ المنافقين يستهزئون بالمؤمنين عند خلوهم بشياطينهم أي زمن استهزائهم محدد، بينما استهزاء الله بهم دائم ومستمر غير محدد بزمن وهذا ما أوجب الفصل؛ لأنّ حكم الآيتين غير مشترك[14]

انطلق عبد القاهر الجرجاني، من مجموعة قواعد نحوية، وسماها بالأسس النحوية التي جاء بها النحاة لضبط العطف، كامتناع العطف بين الصفة، والموصوف، أو بين المؤكِّد، والمؤكَّد أو امتناع عطف جملة لها محل من الإعراب على أخرى لا محل لها من الإعراب، والتمييز بين عطف المفرد على المفرد وعطف الجملة على الجملة، واستثمار هذه المعطيات، لمقارنة الفصل والوصل بلاغيا، يقول الجرجاني: في عطف المفرد على المفرد « ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد هو إشراك الثاني في إعراب الأوّل، وأنّه إذا أشركه في إعرابه، فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب»[15] وفي عطف الجملة على الجملة يقول:« لا سبيل لنا إلى ادعاء أنّ الواو أشركت الثانية في إعراب قد أوجب للأولى بوجه من الوجوه»[16]

يتضح من هذه المسلمة النحوية، أنّ المفرد يعطف على المفرد بشرط، هو اشتراكهما في الإعراب والحكم معا، أما عطف الجمل، يكون بالتناسب، كعطف الجملة التي لها محل من الإعراب على مثيلتها، نحو: أتمنى أن أنجح، وأن أسخر نجاحي في سبيل الخير، فالجملة الأولى تعرب مفعولا به والثانية كذلك، وعطف التي ليس لها محل من الإعراب على أختها مثل: العلم بناء، والجهل دمار فالجملة الأولى ابتدائية لامحا لها من الإعراب، والثانية مثلها، وهذا ما يوجب العطف، والوصل .

---

[11]- ينظر أحمد الهاشمي, جوهر البلاغة. ص164

[12]- ينظر السكاكي. أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي. مفتاح العلوم. تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط1. 2000. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ص370

[13]- البقرة./14-15

[14]- السكاكي, مفتاح العلوم, ص361.

[15]- دلائل الإعجاز, في علم المعاني,ص171.

[16]- المصدر نفسه ص 171

من خلال ما تقدّم يستنتج: أنّ عبد القاهر الجرجاني في عطف الجملة على الجملة ينطلق من عطف المفرد على المفرد كأصل لبناء ذلك، خصوصا الجمل التي لها محل من الإعراب، والدليل قوله: « فإنّ الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين أحدهما أن يكون للمطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذْ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد »[17] فالربط بين الكلمات المفردة، هو معيار الربط بين الجمل، كون أنّ اللفظة المفردة هي الأصل وأنّ الجمل التي تحل محل الكلمات، وتؤدي وظيفتها الإعرابية، يكون الربط بينها جاريا على منوال الربط بين المفردات، والربط بين الجمل يعني إنشاء نص، لأنّ النص بنيته الأساسة جملة.

لم يختلف السكاكي في مسألة الفصل، والوصل عن الجرجاني، وقد اعتمد في بحثه على المسلمة التالية: « مركوز في ذهنك لا تجد لرده مقالا، ولا لا رتكاب جحده مجالا، أن ليس يمتنع بين مفهومي جملتين اتحادا بحكم التآخي، وارتباط أحدهما بالآخر مستحكم الأواخي، ولا أن يباين أحدهما الآخر مباينة الأجانب، لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب، ولا أن يكونا بين لآصرة رحم ما هنالك فيتوسط حالهما بين الأولى، والثانية لذلك، ومدار الفصل، والوصل، وهو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات »[18]

يتضح من قول السكاكي أنّ الجمل ثلاثة أصناف منها: ما هو متقارب، ومتآلف ومتكامل وجب عطفه ووصله، ومنها ما هو متباين، متنافر، وجب فصله، ومنها ما هو وسط بين الأول والثاني، يقول السكاكي «العطف في باب البلاغة يعتمد معرفة أصول ثلاثة: أحدها الموضع الصالح له من حيث الوضع، وثانيها فائدته، وثالثها وجه كونه مقبولا، لا مردودا، وأنت إذا أتقنت معاني الفاء، ثم، حتى، لا، بل، لكن، أو، أم أما، أي، على قولين، حصلت لك الثلاثة لدلالة كل منها على معنى محصل مستدع من الجمل بينا مخصوصا مشتملا على فائدته، وكونه لدلالة، وكونه مقبولا هناك»[19]أستنتج من هذا النص أنّ الفصل والوصل لا يؤديان دورهما في الخطاب إلا إذا احترمت الأصول الثلاثة:

- الأصل الأول: الموضع الصالح للعطف.
- الأصل الثاني: فائدة العطف.
- الأصل الثالث: كونه مقبولا لا مردودا.

يجب التمييز بين نوعين من الإعراب: الإعراب الذي يتبع فيه اللاحق السابق، والإعراب الذي لا يتبع فيه، والبدل من النوع الذي يتبع فيه اللاحق السابق، فلا يجوز دخول الواو عليه، لأنّ البدل هو المبدل منه نفسه، وليس من الصواب أن يعطف الشيء على نفسه، وكذا النعت، والتوكيد، وعطف البيان، والخبر، لأنّ التابع فيهما هو المتبوع ذاته، أما الذي لا يتبع فيه اللاحق السابق في الإعراب، هو غير الأنواع المذكورة سابقا، وفي هذا السياق يقول السكاكي: « وكذلك إذا أتقنت أن الإعراب صنفان لا غير: صنف ليس يتبع وصنف يتبع، وأتقنت أن الصنف الثاني منحصر في تلك الأنواع: البدل، والوصف، والبيان، والتأكيد وإتباع الثاني الأول في الإعراب بتوسط حرف، وعلمت كون المتبوع في نوع البدل في حكم المنحى والمضرب عنه بما تسمع أئمة النحو رضي الله عنهم يقولون البدل في حكم تنحية

---

[17]- المصدر نفسه ص 171

[18]- مفتاح العلوم. ص357

[19]- المرجع نفسه. ص109.

المبدل منه ويصون بتصريح، بل في قسمة الغلطى وعلمت في الوصف والبيان والتأكيد أن التابع فيها هو المتبوع»[20].

فالتوابع ليست في حاجة إلى رابط يربطها بمتبوعها مثل قولك: صديقي رجل ظريف، زارني أصدقائي كلهم، الطالب علي مثقف (فالظريف) صفة للرجل، و(كلهم) تأكيد للأصدقاء، و(علي) بدل من الطالب، وإنّ ما يسري على المفرد من هذا الجانب هو ما يسري على الجمل، لأنّ الجمل الواردة بدلا، وتوكيدا ونعتا، وخبرا ليست في حاجة إلى رابط خارجي، يربطها ببعضها، بحكم اتصالها المباشر دون وساطة قال تعالى: ﴿ **آلم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[21] إنّ قوله تعالى:(لا ريب) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: (ذلك الكتاب) وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن نقول: (هو ذلك الكتاب)، (هو ذلك الكتاب) والسبب الذي جعله خاليا من العاطف هو أنّه لا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه.[22]

هناك مبرّرات أخرى تمنع العطف بين جملة (لا ريب فيه)، و(ذلك الكتاب) لم يذكرها الجرجاني هو أنّ جملة (لا ريب فيه) خبر للمبتدأ (ذلك)، و(الكتاب) بدل من (ذلك)، والمبرّر الثاني أنّ جملة (لا ريب فيه) حال، كون أنّ (الكتاب) خبر المبتدأ (ذلك)، وعليه فالحال والصفة، والبدل والتوكيد والخبر، لا تربط بينها حروف عطف، بل تربط بينها علاقة معنوية مباشرة.

جـ أسباب الفصل تجنب اللبس، أو تقدير السؤال.

أسباب الفصل كثيرة منها: الاحتياط، وهو عدم إشراك جملتين، أو أكثر في حكم واحد، رفعا للاتباس أو تقديرا لسؤال خفي، لأن الوصل قد يكون سببا في غموض الدلالة، وضلالة القارئ، وعدم معرفة المعنى الصحيح للخطاب « فالحالة المقتضية للقطع نوعان: أحدهما أن يكون للكلام السابق حكم، وأنت لا تريد أن تشرك الثاني في ذلك، فيقطع، ثم أن هذا القطع يأتي إمّا على وجه الاحتياط وذلك إذا وجد قبل الكلام السابق كلام غير مشتمل على مانع من العطف عليه لكن المقام مقام احتياط فيقطع لذلك»[23] ولتوضيح ذلك يسوق السكاكي المثال التالي: من (بحر الكامل)

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلاً، أَرَاهَا فِي الضَّلاَلِ تَهِيمُ.

مفهوم هذا البيت أنّ سلمى تظن أنّ صاحبها يحب أخرى بدل منها، ولكن صاحبها قد نفى ظنها، وأكد أنه لا يحب غيرها في قوله:(أراها في الضلال تهيم) وسبب قطع أراها عن تظن احتياطا حتى لا يظن القارئ بأنّ "أراها" معطوفة على" تظن"، ولها نفس الحكم، ويصير المعنى غير المقصود، وهذا ما اتفق فيه "الجرجاني" و "السكاكي"، ومن مبررات الفصل أيضا، أن تكون الجملة (أراها) جوابا عن سؤال مقدر هو: ما قولك فيما تظن سلمى؟، والجواب أراها في الضلال تهيم.

أستنتج من هذا التحليل أنّ الجملة لا تتصل بجملة ملتبسة المعنى، ولا تعطف عليها،

---

[20]- المرجع نفسه. ص358

[21]- البقرة./2

[22] -دلائل الإعجاز , ص388

[23]- مفتاح العلوم, ص360

وأنّ الثنائي المتكون من سؤال مقدّر، وجوابه، يساهم في اتساق النص، وانسجامه، دون وجود رابط شكلي، وأنّ جواب السؤال قد يكون في نفس البيت، وقد يكون في بيت لاحق، ومنه، فصيغة سؤال، جواب مبرر للفصل يفرضه السياق، والمقام، يرى بعض العلماء أن الاستئناف مبرر من مبررات الفصل أيضا قال تعالى:﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[24] فالآية (الله يستهزئ بهم) استئنافية غير معطوفة على سابقتها، ومنهم من يرى أن شطري الآية عبارة على سؤال وجواب، وفي الحالتين وجب الفصال، وفي هذا المعني يقول السكاكي: « وإما على وجه الوجوب وذلك إذا كان لا يوجد، وأن يكون، الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال، فينزل ذلك منزلة الواقع، ويطلب بهذا الثاني، وقوعه جواباً له، فيقطع عن الكلام السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه لجهات لطيفة، إما لتنبيه السامع على موقعه، أو لإغنائه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد على تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وهو تقدير السؤال منه العاطف، أو غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك، ويسمى النوع الأول قطعا، والثاني استئنافا »[25] .

د- سبب الفصل نقصان المعنى:

إذا كان الكلام السابق غير تام المعنى، أو له شأن، أو غريبا، يلجأ الكاتب إلى استئناف كلاما آخر بدلا منه، مفصولا عنه، لإتمام المعنى وبذلك تكون العلاقة تكاملية دلالية لا شكلية، وفي هذا السياق يقول السكاكي:« وأما الحالة المقتضية للإبدال فهي أن يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد وإيراده أو كغير الوافي، والمقام مقام اعتناء بشأنه، إما لكونه مطلوبا في نفسه، أو لكونه غريبا، أو لطيفا أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه، فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد على المراد ليظهر بمجموع القصدين إليه في الأول والثاني أعني المبدل منه والبدل مزيد الاعتناء بالشأن»[26]، قال تعالى:﴿ **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ . قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** ﴾[27].

فالآيتان على العلاقة تكاملية، لأنّ الأولى ﴿ **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ** ﴾ لا تؤدي المعنى كاملا، كون المتلقي لا يعرف ما قاله الأولون، وجاء ت الآية الثانية ﴿ **قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** ﴾ لإتمام النقص في الآية الأولى، وتفصيل ما كان مجملا .

هـ- سبب الفصل ظهور الخفي:

هذا جانب آخر من جوانب التماسك النصي، يبيّن العلاقة التي تنظم الخطاب عند تعذر

---

[24] - البقرة/14.

[25]- مفتاح العلوم, ص361

[26] - مفتاح العلوم. ص361ه

[27] - المومنون./81-82

العطف وجوبا لإجلاء الخفي « وأما الحالة المقتضية للإيضاح، والتبيين فهي أن يكون بالكلام السابق نوع خفاء، والمقام مقام إزالة له.»[28] مثل قوله تعالى:﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى** ﴾[29] فالواضح أنّ قوله تعالى:﴿ ﴾ مفصولا شكليا عن قوله تعالى:﴿ **قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى** ﴾ وذلك لإجلاء الغامض وهو وسوسة الشيطان .

و- الوصل بين المتغير والثابت:

التغيير والإثبات هما أداة وصل، حيث «تعطف الاسمية على مثلها، و الماضوية والمضارعية
على مثلها، وكذا الاسميتان في نوع المسند من حيث الإفراد والجملية والظرفية، ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض كإفادة التجدد في إحداهما، والثبوت في الأخرى»[30]قال تعالى: "﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ** ﴾[31] فالآيتان مختلفتان، الأولى فعلية والثانية اسمية، ورغم ذلك معطوفتان بحرف العطف"أم" ومبرّر هذا الوصل هو التجديد، والثبات، حيث إنّ الأولى تبين إحداث الحق وهو أمر متجدد والثانية استمرار اللعب، وهو أمر ثابت وذلك، لأنّ الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبوت بالجملة الاسمية، ومثل هذا يحصل عند إرادة الماضوية في إحداهما والمضارعية في الأخرى [32]يتضح من هذا القول أنّ ثنائية الثبات، والتغيير، مهمة في انسجام النص.

ز- الوصل بين النظائر والشبائه، والنقائض:

مبررات الوصل ليست معيارية ثابتة، تخضع لقواعد علمية صارمة فحسب، بل تأتي معنوية وتداولية أيضا كالشبيه والنظير والنقيض نحو: « زيد طويل القامة وعمر شاعر، زيد طويل القامة وعمر قصير، زيد شاعر وعمر كاتب، فالعطف الأول غير جائز، لاختلاف الخبرين، فما العلاقة بين زيد طويل القامة، وعمرو شاعر؟ الجواب هو أن يؤتى في العطف بالخبر، وما يشاكله، لا ما يخالفه فطول القامة يناسبه قصرها، والشاعر يضارعه الكاتب، وهلمّ جرًّا.»[33] فعلاقة التناظر مثل:عمر يقرأ، وعلي يكتب، والتناقض مثل: الصيف حار، والشتاء بارد، وعلاقة الشبائه مثل، خالد ذكي ومحمد عبقري، وهي علاقات معنوية تداولية، أجازت الوصل والعطف .

حـ- وصل الجمل المختلفة:

المبرر الذي يجعل من الجمل المختلفة، طلبيا، وخبريا متصلة، هو المقام، أو السياق، قال السكاكي في هذا السياق: « وأما الحالة المقتضية للتوسط بين كمال الانقطاع فهي إن اختلفا خبراً، وطلباً أن يكون المقام مشتملاً على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب، أو الطلب معنى الخبر، ومشتركا بينهما في جهات جامعة مما تليت

---

[28]- مفتاح العلوم, ص 361.
[29] - طه/120
[30]- أحمد الهاشمي. جوهر البلاغة.ص161
[31]- الأنبياء/ 55
[32]- أحمد الهاشمي. جوهر البلاغة, ص 161
[33] -عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز, ص173

عليك»[34] على نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾[35]، قوله: "لا تعبدون" مضمّن معنى لا تعبدوا فجملة (قولوا) وردت بصيغة الطلب معطوفة ولم يسبق في الآية طلب تعطف عليه، لكن السياق والمقام يجعلنا نؤول جملة "لا تعبدون" بـ " لا تعبدوا" لأن لهما نفس المعنى.

ط- الحال بين الفصل والوصل:

الحال المفردة طبعها الفصل، كونها صفة لصاحبها، فعطفها عليه، هو عطف الذات على الذات وهذا غير جائز، في عرف النحو العربي، لكن الحال جملة الأمر يختلف، « لما كانت الحال تجيء جملة وقد تقترن بالواو، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها نحو: جاء فؤاد والشمس طالعة»[36]

يفهم من هذه القاعدة النحوية، أنّ الجملة الحالية تأتي مقترنة بالواو، أو غير مقترنة، وبذلك صارت شبيهة إلى حد ما، بالوصل والفصل، وعليه يفترض وصل الجملة الحالية بما سبقها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها، أما فصل الجملة الحالية عن صاحبها يجوز في ثلاثة مواضع:

- إذا كان فعلها ماضيا جاء بعد إلاّ، أو وقع ذلك الماضي قبل (أو) التي للتسوية نحو: ما تكلم فؤاد إلاّ قال خيرا وكقول الشاعر: (البسيط)

كَنْ لِلْخَلِيلِ نَصِيرَا جَار أَوْ عَدَلاَ وَلاَ تَشُحَّ عَلَيْهِ جَادَ أَوْ بَخِلاَ.

-إذا جاء فعلها مضارعا مثبتا أو منفيا بـ (لا، ما) نحو:﴿ **وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ** ﴾[37].

- إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف نحو: ﴿ **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ** ﴾[38] أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها[39] نحو قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ . فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾.[40]

يتضح مما سبق أنّ الحال الجملة يجب فصلها في ثلاثة مواضع: إذا جاءت جملة فعلية فعلها ماض بعد إلاّ نحو: ما فكر الطالب إلا أجاب صحيحا، أو وقع هذا الماضي قبل (أو) التي تفيد التسوية نحو: كن للعلم طالبا قَرُبَ أو بَعُدَ.أو جملة فعلية فعلها مضارع مثبت أو منفي (بما)، أو (بلا) نحو: رأيت الطالب يحضِّر للامتحان.إذا جاءت الحال اسمية واقعة بعد

---

[34]- السكاكي. مفتاح العلوم .ص367

[35]- البقرة/83

[36]- السيد أحمد الهاشمي.جوهر البلاغة.ص167

[37]- يوسف/ 16

[38] -الأعراف/4.

[39]- أحمد الهاشمي. المرجع نفسه.ص 168- 169.

[40]- البقرة/ 2 .

حرف عطف، نحو:عاد المسافر إلى أبنائه ليلا أوهم نائمون، أو مؤكدة لما قبلها نحو:الإسلام لاشك فيه دين قيم .

ي- الربط بين الجمل المفصولة:

من المألوف أنّ الجملة تعطف على الجملة التي تليها مباشرة، ولكن أحيانا يكون العطف بين جمل مفصولة عن بعضها غير متوالية، يقول الجرجاني في هذا المعنى: « مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنّه قد يؤتى بالجملة، فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة، أو جملتان وهذا فن من القول خاص دقيق»[41] نحو قول المتنبي: (الوافر)

تَولَوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنـاً تَهَيَّبَنِي ففاجأني اغْتِيـالاَ

فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمْ ذَمِيلاً وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمْ انْهِمَالا [42]

يتوخّى الجرجاني في معالجة هذا المبدأ طريقتين الأولى شرح، والثانية قياس العطف على الشرط والجزاء احتمالا أن تكون الجملة (فكان مسير عيسهم ذميلا) معطوفة على (فجاءني اغتيالا)، بينما هي معطوفة على (تولوا بغتة)، والقرينة التي تمنع العطف الأول في رأي الجرجاني هي (كأنّ) التي تفيد التوهم، بينما (فكان مسير عيسهم ذميلا) حقيقة، وبذلك امتنع العطف، أما القرينة الثانية المانعة من العطف هي قرينة منطقية، حيث اعتبر الجرجاني الجملة الداخلة في التوهم مسببا (فكأنّ بيْنا تهيبني)، وجملة (تولوا بغتة) سببها، وعلى هذا النحو يكون المعنى تولوا بغتة فتوهمت أنّ بيْنا تهيّبني، ولاشكّ أنّ التوهم كان بسبب أن كان التولي بغتة .[43] إذا عطفت الثالثة (فكان مسير عيسهم ذميلا) على المسبب غدت هي أيضا مسببا عن التولي بغتة، وهو معنى لا يستقيم، فالعلاقة بين الشطر الأول والثاني من البيت الأول قوية؛ لأنّ كلاّ منهما في حاجة إلى الآخر كي يستقيم المعنى وربما كانت العلاقة السببية القائمة بينهما وراء هذا الرأي، إذا كان الأمر كذلك بين شطري البيت الأول فإنّ البيتين لا يشذان عنه، دليل ذلك أنّ الغرض من هذا الكلام أن يجعل توليهم بغتة، وعلى الوجه الذي توهم من أجله أنّ البين تهيبه مستدعيا بكاءه، وانهمال دمعه، فلم يعنه أن يذكر ذملان العيس إلاّ ليذكر هملان الدمع، وأن يوفّق بينهما.[44]

إنّ التكامل المعنوي بين شطري البيت الأول واضح، واتصال البيت الثاني بالأول دليل على ترابط البيتين، كون المعطوف عليه ليس هو الشطر الأول من البيت الثاني فحسب، وإنّما هو البيت كلّه ومنه فالعطف يكون بين أشطر الأبيات من جهة، وبين الأبيات كلها من جهة ثانية.

---

[41]- دلائل الإعجاز.ص188.

[42] -العيس: الإبل. ذميلا: لينا.

[43]- ينظر دلائل الإعجاز.ص188

[44] -المصدر نفسه.ص 189

أما طريقة قياس العطف على الشرط « فينبغي أن يجعل ما يصنع في الشرط، والجزاء من هذا المعني أصلا يعتبر به وذلك أنك ترى جملتين قد عطفت إحداهما على الأخرى ثمّ جعلنا مجموعهما شرط »[45]كقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾[46] الشرط في الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها لا في كلّ واحدة على إنفراد لأنّ إذا أفردناهما صارا شرطين ولابد لكل شرط جزاء، وليس معنا إلاّ جزاء واحد للشرطين، وبذلك يكون التماسك.

بعد اطلاعنا على مباحث الفصل والوصل عند القدامى، نخلص إلى مدى أهمية هذه الظاهرة في تماسك الخطاب، وأنّ العطف يخضع للتعليل المنطقي ويستند في مواطن كثيرة إلى التعليل اللغوي، وأنّ واو العطف ليست مقتصرة على نحو الجملة، في التراث العربي كما يُعتقد، وعند ما نطلع على هذا التراث، وخصوصا البلاغة، وبالأخص الفصل الوصل، نتأكد، بأنّ حروف العطف وعلى رأسها الواو هي أدوات ربط، وتماسك لا تستغني عنها لسانيات الجملة، ولا لسانيات النص.

ك ـ صيغة الخطاب تحدد الوصل أو الفصل

يتضح من هذا العنوان أنّ طبيعة الخطاب هي التي تحدد عملية الفصل أو الوصل، يقول الجرجاني في هذا السياق: « ومما هو أصل في هذا الباب، أنك ترى الجملة، وحالها مع التي قبلها حال من يعطف ويقرن إلى ما قبله ثمّ تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر فيها صارت به أجنبية عما قبلها يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[47]

يرى الجرجاني أنّ ظاهر هذه الآية يوحي بوجوب العطف﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ أولا، لأنه ليس أجنبيا عنه، وثانيا؛ لأنّ له في القرآن نظائر جاءت معطوفة على ما قبلها، مثل قوله تعالى: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾[48] ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾[49] فما هو المبرّر ّإذاً الذي يفصل قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ عما قبله؟ يجيب الجرجاني أنّ صيغة الخطاب في الآية ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ حكاية عن المنافقين، وليس بخبر عن الله تعالى، وقوله:﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ خبر عن الله تعالى، لذلك امتنع عطف ما هو خبر عن الله تعالى، عما هو حكاية عن الكفار، هذا مصوغ الفصل، فما هو موجب العطف في نظائر هذه الآية؟ قال تعالى: ﴿ ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ مسوغ العطف، أنّ صيغة الخطاب واحدة وهي الخبر، وبناء على هذا التحليل نخلص إلى أنّ صيغة الخطاب هي مبدأ تتحكم في ظاهرتي الفصل والوصل، فإن كانت الصيغة متماثلة وصل الخطاب وإن كانت مختلفة فصل.

نختم مبحث الفصل والوصل بخلاصة مفادها أنّ الجمل ثلاثة أنواع هي:

---

[45] -المصدر نفسه , ص179

[46]- النساء/112

[47]- البقرة./14-15.

[48]- النساء/142.

[49]- آل عمران/54.

1- جملة النعت، أو البدل، أو التوكيد، غير معطوفة، لأنّ علاقاتها معنوية مباشرة، فعطفها يعني العطف على الذات، وهذا غير جائز نحو: قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾[50]، صراط الذين أنعمت عليهم، بدل من الصراط المستقيم.

2- جملة تشارك أختها في الحكم، فعطفها عليها واجب، مثل: فهم الطالب المحاضرة ولخصها.

3- جملة لا شراكة بينها وبين التي سبقتها، فعطفها عليها غير جائز، مثل: العلم بحر، كُلِ الطعام.

ل- فصل المؤكد:

بعد البحث في الروابط الشكلية الظاهرة، نمرّ إلى الروابط المعنوية العميقة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[51] فقوله تعالى: ﴿ **لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ تأكيد لقوله: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** ﴾ وقوله: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ** ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأوّل؛ لأنّ من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر، كان في غاية الجهل، وكان مطبوعا على قلبه لا محالة.[52]

هذه الآية تتضمن تأكيدين كل منهما يضيف جديدا إلى المعنى، ومن ثمّ فإنّ الثاني ليس حشوا مادام أبلغ من الأول؛ لأنّه يبين استواء الإنذار عندهم بعدمه، وذلك لأنّ الله ختم على قلوبهم، والمثال الثاني يقول تعالى:﴿ ﴾[53] فالتشبيه الثاني لم يعطف على الأول؛ لأنّ المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع[54]، وتجدر الإشارة إلى أنّ التشبيه الأوّل أقوي من التشبيه الثاني.

يتضح مما سبق، أنّ الجمل المؤكّدة تسهم في تماسك النصوص، وهي وسيلة معنوية هامّة من وسائل الاتساق والانسجام، وأنها دليل على النصية الخطاب التراثي.

3- التمثيل

من وسائل التماسك النصي التي بحثت فيها البلاغة العربية القديمة "التمثيل"، وهو نوع من التشبيه وجه الشبه فيه متعدّد، أي تشبيه صورة بصورة، يستعمله منتج الخطاب، ليزداد معنى ذلك الخطاب قوة وجمالا وإيضاحا، وبيانا، وهو أداة مهمة، وفاعلة في انسجام الخطاب، وتماسكه، يقول الجرجاني في هذا السياق: «التشبيه الذي هو أولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده، ولا يحصل لك إلا من جملة من الكلام، أو جملتين أو أكثر، حتى أنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى

---

[50] - الفاتحة/6-7.

[51]- البقرة/6-7

[52]- عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز, , ص175.

[53]- لقمان/7

[54]- ينظر عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز,ص176

الجملة أكثر»[55] نلاحظ في هذا القول إشارة واضحة إلى أنّ التشبيه التمثيل يتجاوز الجملة إلى النص، لمّا يذكر أنه "لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام، أو جملتين، أو أكثر"، فالمقصود بجملة من الكلام هو النص ثم أكد ذلك، بقوله: جملتين، أو أكثر، وهذا دليل على أنّ الدراسة النصية لم تكن غريبة عن البلاغة العربية.

يوضح الجرجاني هذه الظاهرة البلاغية بمثل من القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[56] فوجه الشبه بين الحياة، والماء متعدد ومركب من الجمل كلّها (النص) دون فصل بعضها عن بعض، لو تحذف واحدة منها من أي موقع كان يحدث خلل المعنى، ويضيع القصد.

إنّ تحقيق مقصدية التمثيل يُعد ضربا من المستحيل باعتماد جملة بمفردها، والتمثيل على هذا النحو يجعله آلة لنسج خيوط خطاب ما، مكوّن من عدّة أجزاء، كون الجزء لا يعني شيئا إلاّ بانتظامه في الكلّ الذي يصنعه التمثيل؛ بمعنى أنّ الخطاب في هذه الحالة، لا يكون إلاّ سلسلة من العناصر المترابطة لبناء نص أوّلا، وضمان انسجامه ثانيا، وهذا الترتيب الجملي المتراص كالبنيان، هو من صنع التمثيل الذي هو أداة من أدوات اتساق، الخطاب وانسجامه، وهو مؤشر من مؤشرات النصية في التراث البلاغي العربي.

4- التكرير

التكرير ظاهرة نصية في البلاغة العربية القديمة وهو « إعادة اللفظ الواحد بالعدد، أو بالنوع أو المعنى الواحد بالعدد، أو بالنوع بالقول مرتين فصعدا وهو نوعان: لفظي، ومعنوي فاللفظي هو المشاكلة والمعنوي، هو المناسبة»[57]

أ- التكرير اللفظي: هو إعادة الكلمة بلفظها، ومعناها، وهو نوعان: إجمالي، وتفصيلي مثل قوله تعالى: ﴿ **أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ** ﴾[58] فقوله : "أنكم" الثاني (بناء) على الأول وإذكار به خشية تناسيه لطول العهد به[59] بمعنى أنّ (أنكم) الثانية، هي تكرار لـ (أنكم) الأولى والغرض من هذا التكرار بنفس اللفظ، والمعنى الذي يسميه السجلماسي(البناء) هو التذكير لطول المدة مخافة النسيان، وهو أداة ربط أسهمت في انسجام الآية القرآنية خاصة، وسورة (المؤمنون) عامة .

أمّا الطريقة الثانية فهي (بناء) بطريق الإجمال والتفصيل، وذلك بأن تتقدم التفاصيل، والجزئيات في القول فإذا خشي عليها التناسي لطول العهد بها، بُني على ما سبق منها

---

[55]- أسرار البلاغة, في علم البيان, تحقيق محمد الإسكندراني و م. مسعود . الطبعة2 .1998 دار الكتاب العربي. بيروت ص88.

[56]- يونس/ 24

[57]- السجلماسي .المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع,.تحقيق علال الغازي.طبعة 1980 . مكتبة المعارف. الرباط .ص476

[58]- المؤمنون/ 35

[59]- نظر السجلماسي .المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. ص 479 .

بالذكر الجملي وأُذْكِرَت الجزئيات الداخلية في ضمن المقتضى الأول به[60] ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا . وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا** ﴾[61] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾[62]، يعلق السجلماسي بقوله" (فبظلم) بناء بالذكر الجملي على ما سبق في القول من التفصيلي، وذلك أنّ الظلم جملي لما سبق من التفاصيل من النقض والكفر وقتل الأنبياء[63].

يتضح من الآيات السابقة أنّ: كلمة "فبظلم"، احتوت الآيتين السابقتين الدالتين على الظلم نحو: كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف وقولهم على مريم بهتانا عظيما، واللاحقتين بها الدالتين على الظلم أيضا نحو: بصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، ومنه فكلمة "ظلم" هي رابطة بين الآيات السابقة، واللاحقة وهي مؤشر من مؤشرات النصية.

بـ - **التكرير المعنوي:** المعروف بالمناسبة يوضحه السجلماسي بقوله:«"ليس ينبغي أن يظنّ بنا أنّا نريد باسم المناسبة الذي نرادف به التكرير المعنوي، أن يكرر المتكلم المعنى الواحد بالعدد في القول مرّتين فصاعدا؛ لأنّ ذلك ليس من القول مغسولا خلوا من البديع، وعطلا عريا من البيان فقط، بل مرذولا غثا مستكرها رثا»[64] إنّ هذا النوع من التكرير ليس هو إعادة المعنى عدة مرات دون فائدة، ولا مجرّد حشو لا طائل من ورائه؛ بل هو ظاهرة أسلوبية فنية إبداعية، تسهم في إيضاح المعنى، واتساق النص وانسجامه ومن ثمّ فالمناسبة هي: « تركيب القول من جزأين فصاعدا، كل جزء منهما مضاف إلى آخر ومنسوب إليه بجهة ما، من جهات الإضافة ونَحْوٍ من أنحاء النسبة »[65]ويصنف(السجلماسي) المناسبة كما يلي:

- إيراد الملائم: أن يأتي بالشيء وما يناسبه، مثل : الشمس، القمر. والسرج، اللجام.
- إيراد النقيض: أن يأتي بالأضداد، مثل: الليل والنهار. الصبح والمساء. الحرارة، والبرودة.
- الانجرار: أن يأتي بالشيء وما يستعمل فيه، مثل: القوس والسهم. الفرس واللجام. القلم، والدواة [66]

يتضح من قول السجلماسي: أنّ التكرير المعنوي، ليس هو تكرار اللفظة بمعناه، بل عبارة على كلمات متلائمة في ما بينها، يجمع بينها مجال معين مثل **مجال الفلك**: كالشمس، القمر، الكواكب، و **مجال الفروسية**: كالفرس وللجام، السرج والركاب، **وكلمات متقابلة،**

---

[60]- ينظر السجلماسي, المرجع نفسه ص479.
[61]- النساء./ 155.156
[62]- النساء/60- 61
[63]- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع .ص 479.
[64]- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ص 517.
[65]- السجلماسي, المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. ص518
[66]- السجلماسي,, المرجع نفسه. ص 518.

تربطها علاقة عكسية نحو: الليل والنهار الصباح، المساء، وهذا ما وَسَمَهُ السجلماسي بالمناسبة وهي خاصية من خصائص النصية .

خاتمة

في نهاية البحث لابدّ من تسجيل بعض الحقائق منها: أنّ البلاغة العربية القديمة قد أسهمت إلى حد كبير في تماسك الخطاب العربي التراثي، وأهم العناصر التي أدت هذا الدور هي: الفصل والوصل والمطابقة، والتكرير (البناء، والمناسبة)، الاشتراك (الجامع العقلي، والوهمي والخيالي والتمثيل، وصيغة الخطاب، والتأكيد، و الإيضاح) تقدير السؤل، واختلاف الأفعال الكلامية، والمقام والسياق.

الفصل لا يعني تفكك الخطاب، بل انسجامه، وإنّ الفصل والوصل لا يمكن أن يؤديا دورهما في الخطاب إلا إذا أتقن الكاتب الأصول الثلاثة، وهي: اختيار الموضع الصالح للعطف، فائدة العطف، كون العطف مقبولا لا مردودا عند المتلقي.